

## بعد الموت

### ماذا أريد أن يقال عني

بقلم المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

سأله محرر الدنيا منذ شهرين هذا السؤال فكتب إليه هذا المقال :

ما هي الكلمات التي تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله في كلمات ؟ فن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليبي . لنفسه ما يحسن أن يأخذه ، وبعد للناس ما يحسن أن يتركه ، فان الأعمال أشياء حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لا ترى .

وبعد الموت يقول الناس أقوال ضئيلة لا أقوال ألسنتهم ، إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدوا ، وتخلص معاني الصداقة بفقد الصديق ، ويرتفع الحسد بموت المحسود ، وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه ، وتبقى الأعمال تنبئ إلى قيمة عاملها ، ويفرغ المكان فيدل على قدر من كان فيه ، وينزع من الزمن ليل الميت ونهاره فيذهب اسمه عن شخصه ويبقى على أعماله . ومن هنا كان الموت أصدق وأنم ما يعرف الناس بالناس ، وكانت الكلمة بعده عن الميت خالصة مصفاة لا يشوبها كذب الدنيا على إنسانها ، ولا كذب الإنسان على دنياه ،

وأودعتك رسماً لتوقظ في النفوس المموم والشجن .  
وأطفأت السراج المنير لينقلب ناراً تنسعر بين الضلوع .  
ونزعتك من بيننا لتشعرنا الوحدة والفراغ .  
فلنا الله ... لنا الله بعدك يا رافعي .

\*\*\*

آدنى هذا الأمر فانشق له قلبي .

وتفطر فؤادي حين لفحني أواره .

وفقدت الآسى وقد فرع عني الصديق والخليل

فظللت وحدي أذرف الدمع السخين .

فواحر كبدى ... واحر كبدى بما أفاسى بعدك يا رافعي !

طاهر محمود مبيب

وهي الكلمة التي لا تقال إلا في النهاية ، ومن أجل ذلك تجي . وفيها نهاية ما تضرع النفس للنفس .

وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف ؟ وماذا تكتب الصحف ؟

هذه كلمات من أقوالهم : حجة العرب ، مؤيد الدين ، حارس لغة القرآن ، صدر البيان العربي ، الأديب الأمام ، معجزة الأدب ، إلى آخر ما يطرد في هذا النسق ، وينطوى في هذه الجملة . فيقال هذا كله ولكن باللفة لا بالعجاب ، وللتاريخ لا للتقريب ، ولمنفعة الأدب لا لمنفعة الأديب . ثم لا يكون كلاماً كالذي يقال على الأرض يتغير ويتبدل ، بل كلاماً ختم عليه بالخاتم الأبدي ، وكأنما مات قائله كما مات الذي قيل فيه .

أما أنا فإذا ترى روحى وهي في الغمام وقد أصبح الشئ . عندها لا يسمى شيئاً ؟ إنها ستري هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوي الذي تدل عليه لا تفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل ، وخفقة ضميره . فشعور القلب التأثير هو وحده اللغة المفهومة بين الحي والميت

ستري روحى أن هؤلاء الناس جميعاً كالأشجار المنبثثة من التراب عالية فوقه وثابتة فيه ، وستبحث منهم لا عن الجذوع والأغصان والأوراق والظاهر والباطن ، بل عن شئ واحد هو هذه الثمرة السماوية المسماة القلب . وكل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير . ذلك هو ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة

مصطفى صادق الرافعي

### من كلام الرافعي

قيل له رحمه الله : هل تكره الموت ؟ فقال لا بل أكره ذنوبي ، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر ، نسأل الله حسن الخاتمة . وقيل له ما هي وصيتك إذا حضرتك الوفاة ؟ فقال : هي تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي : النجاح لا ينفعنا بل ينفعنا الامتياز في النجاح